دور الشيخ أبي اليقظان (1888- 1973م) في جمعية العلماء ومكانته فيها

The Role of Sheikh Abu Al-Yaqzan (1888-1973 AD) in the Association of Scholars and his Position in it

محفوظ حني، جامعة غرداية[1]

hani.mahfoud@univ-ghardaia.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2025/10/01 تاريخ القبول: 2025/10/15 تاريخ النشر: 2025/12/30

ملخص:

كانت من بين أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها سنة 1931م تعيين في مجلس إدارتها شخصيات من اتجاهات مختلفة، فكان من بينهم بعض منظّري الإصلاح في وادي مزاب. نتساءل عن جهود عضو مجلس الإدارة الشيخ إبراهيم أبي اليقظان في الجمعية ودوره في المجال الصحفي وتأثيره في الإصلاح الاجتماعي. بالرجوع إلى جرائد الشيخ وشهادات رفاقه عن تلك الحقبة، يتبين لنا أن صداقته برئيس الجمعية الشيخ ابن باديس وتبادل الزيارات بينهما كانت منذ وقت مبكر، سواء بتونس وقسنطينة. ما أهله على ما يبدو لنيل عضويته بها منذ تأسيسها؛ فانتخابه لنيل منصب بها سنة 1934م ثم تمثيلها بالجنوب. وكان لتشابه نشاط الحركة الإصلاحية في منطقة مزاب التي كان الشيخ أحد أقطابها بنشاط جمعية العلماء، من خلال مجابهتهما الاحتلال الفرنسي في الميدان الصحفي وسعيهما لنهضة الأمة الإسلامية والوطن، واهتمامهما بتعليم النشأ بداخل الجزائر وخارجها... أثره في نجاح هذه الحركة في نشر الوعي تجاه قضايا الوطن والأمة في شمال وجنوب الجزائر، ما عجل بدخول البلاد معركة التحرير.

[1] المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: جمعية العلماء؛ أبي اليقظان؛ الحركة الإصلاحية؛ الجزائر؛ مزاب.

Abstract:

Among the goals of the Algerian Muslim Scholars Association when it was founded in 1931 AD was to appoint figures from different trends to its board of directors, including some reform theorists in the Mzab Valley. We wonder about the efforts of Board Member Sheikh Ibrahim Abi Al-Yaqzan in the association and his influence in the field of journalism and social reform. By referring to the sheikh's newspapers and the testimonies of his companions from that era, it becomes clear to us that his friendship with the president of the association, Sheikh Ibn Badis, and the exchange of visits between them occurred from an early time, both in Tunisia and Constantine. This apparently qualified him to become a member of it since its founding, be elected to a position in it in 1934 AD, and then represent it in the south. The similarity of the reform movement activity in the M'zab region, of which the sheikh was one of its prominent figures, with the activity of the Association of Scholars through its confrontation of the French occupation in the journalistic field, their pursuit of the renaissance of the Islamic nation and the homeland, and their interest in educating young people inside and outside Algeria; had an impact on the success of this movement in spreading awareness about the issues of the homeland and the nation in northern and southern Algeria and that accelerated the country's entry into the liberation battle.

Keywords: Association of Scholars, Abi Al-Yaqzan, The Reform Movement, Algeria, Mzab.

مقدمة:

كانت جمعية المسلمين الجزائريين من أهم الجمعيات التي مثلت الحركة الإصلاحية ونشطت فيها منذ بداية الثلاثينات، كان اهتمامها منصبا بشكل رئيسي على نشر الوعي والتعليم العربي

والإسلامي. كان على رأسها بعض الشخصيات المؤسسة والفاعلة فيها كالشيوخ عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، الأمين العمودي، عبد القادر بن زيان، العربي التبسي، مبارك الميلي، الطيب العقبي، السعيد الزاهري، محمد خير الدين، يحي حمودي... وكان من هؤلاء بعض المصلحين مؤسسين وأعضاء من وادي مزاب، ويتعلق الأمر بالشيخ إبراهيم بيوض السياسي؛ والشيخ حمو عيسى النوري المجاهد؛ والشيخ إبراهيم أبي اليقظان الذي كان صحفيا.

كما كان من بين هؤلاء أعضاء مثلوا الحركة الإصلاحية في مزاب منهم شريفي الشيخ عدون، والسيد لعساكر الحاج احمد، والشيخ إبراهيم بن بنوح مطياز، والشيخ عبد الرحمان بن عمر بكلي، والسيد غرافة إبراهيم العضو البارز في حزب الشعب، والشيخ سليمان بن الحاج داود الذي كان الكاتب العام للجمعية، وممثل فرعها بقسنطينة. وهؤلاء الخمسة الأوائل شاركوا في انتخاب المجلس الإداري للجمعية في المرة الثانية سنة 1934م، والذي أسفر عن تعيين الشيخ أبي اليقظان في مجلس الإدارة.

إذن، سيكون تركيزنا على شخصية الأخير ألا وهو الشيخ أبي اليقظان، ففيم يتمثل دوره في جمعية العلماء والحركة الإصلاحية بشكل عام، وما هي الجوانب التي نشط فيها؟ وما الأثر الذي تركه؟

بالرجوع إلى مصادر ومراجع الموضوع سنحاول استقراء مقالات الشيخ أبي اليقظان في جرائده وبعض صحف جمعية العلماء، وأخرى لدراسات عن الحركة للإصلاحية بالشمال والجنوب؛ وادي مزاب بالخصوص، محاولين التركيز على المسار الذي برزت فيه الشخصية في الجانب الصحفي ومعاناتها في سبيل تحقيق ذلك، فكان تقسيم المقال إلى شقين، الأول: بالحديث عن نبذة عن حياته، وجهوده الصحفية وجرائده؛ أهمها جريدة "وادي ميزاب"، ثم مؤلفاته. الثاني: عن مساهماته في الحركة الإصلاحية من خلال الحديث عن مكانته في جمعية العلماء وعلاقته بأهم شخصياتها، ثم تمثيله لها في منطقة وادي مزاب، لما لأهمية الجمعية في بلورة الوعي والشعور القومي لدى الشعب الجزائري تجاه الاحتلال، وتعجيلها فيما بعد بنيل إستقلاله ولو بشكل غير مباشر بعد أن هيئته فكريا لدخول الكفاح المسلح، ثم أخيرا خاتمة لأهم النتائج المتوصل إليها.

1. الشيخ أبو اليقظان، حياته، صحفه، مؤلفاته:

1.1. أبو اليقظان، جوانب من حياته:

هو الشيخ أبي اليقظان الحاج إبراهيم بن عيسى بن داود بن عيسى بن داود بن الشيخ الحاج احمد بن الشيخ أبي القاسم بن حمو بن عيسى حمدي[2]، وهو لقبه ولقب أسرته الكبيرة، نسبة إلى جدهم الخامس الشيخ الحاج احمد "لاعتدادهم بشخصيته وعلمه"، ينتمي إلى عشيرة البلات الكبيرة في القرارة. يصل نسب قبيلته إلى الملك الموحدي عبد المؤمن بن علي أعظم ملوك الدولة الموحدية، من قبيلة كومية البربرية بناحية تلمسان. انتقل أجداد الشيخ أبي اليقظان من الساقية الحمراء بجنوب المغرب الأقصى، التي كانت تحوي أعداد كبيرة من الإباضية، ثم استقر بعض منهم في وارجلان "ورقلة"، التي منها انتقل جده الشيخ بلقاسم إلى القرارة (دبوز 1394هـ- 1974م، 220).

أما كنيته (أبو اليقظان) فاقتبسها من الإمام العادل أبي اليقظان محمد بن افلح خامس أئمة الدولة الرستمية، حيث كان معجبا به، وسبب ذلك تشابه شخصيتهما. وقد صارت الكنية الجديدة لقبا للشيخ وأولاده وأحفاده، بدلا من لقبهم الأصلي "حمدي". ولقد لقبت عشيرته الكريمة بـ "المسجديين" لملازمتهم وخدمتهم لبيت الله، وتخصيصهم أوقافا كثيرة له (دبوز 1394هـ- 1974م، 220-221).

ولد أبو اليقظان في 05 نوفمبر 1888م، حفظ القرآن الكريم في صغره إضافة إلى إلمامه بعلوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية، ثم انتقل إلى مدينة بني يزقن ليكمل دراسته على يد قطب الأئمة الشيخ اطفيش. يقول عنه الشيخ حمو النوري "هذا العلامة الجليل والسياسي العبقري الكبير، له بطولة نادرة مشرقة الجوانب وجهاد صابر ثقيل في التحرير كان من أساطين النهضة الأولين في العالم الإسلامي والعربي لا في الجزائر وحدها أيام كانت الشعوب الإسلامية ترزح تحت أغلال الاستعمار والحماية والوصاية والانتداب يسودها ديجور من الجهل والتخلف والفقر والتفرقة" (النوري بلا تاريخ، 82).

بعد أن أدى فريضة الحج سنة 1909م سافر إلى تونس سنة 1912م مشرفا ومسؤولا عن أول بعثة طلابية علمية منظمة من الشمال مكونة من تلاميذ المدرسة الصديقية بتبسة التي أغلقتها السلطات الاستعمارية. ثم تتابعت البعثات العلمية في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين، فكان تلامذتها وتلامذة مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتلاميذ معهد الحياة ومدارسه "أكبر قوة وخير عدة في طلائع الإصلاح الاجتماعي والكفاح الوطني الجزائري" (النوري بلا تاريخ، 83).

[2] ينظر ملحق رقم (1): صورة للشيخ أبي اليقظان ابراهيم بن الحاج عيسى.

التحق في تونس بجامع الزيتونة، وتعرف على علماء أجلاء، ودخل معترك الحياة السياسية ملازما لصديقه الحميم الشيخ عبد العزيز الثعالبي ومستفيدا من تجاربه النضالية، حيث كان يبث الدعاية لحزبه على صفحات جرائده في تونس والجزائر مع الشيخين أبي إسحاق اطفيش والصالح بن يحي، وهذا الأخير كان من المؤسسين الأوائل وعضوا في اللجنة التنفيذية وعضوا في لجنة الدعاية والمالية في الحزب (النوري بلا تاريخ، 85-86).

تفرغ الشيخ للإصلاح والتأليف حتى أواخر حياته قبل وفاته بمسقط رأسه في 30 مارس 1973م، إثر معاناته من الشلل النصفي الذي أصابه منذ سنة 1957م (بن علي 1990، 16).

2.1. جهوده الصحفية:

عاد الشيخ أبي اليقظان إلى أرض الوطن قادما من تونس سنة 1925م، وأنشأ أول جرائده "وادي ميزاب" متحملا الكثير من الصعاب في سبيلها، حيث كانت أعدادها تطبع في تونس رغم كون إدارتها وتحريرها وقرائها بالجزائر... كما أسس سنة 1931م المطبعة العربية بغرداية وانتخب سنة 1934م عضوا في المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره نائب رئيس مال الجمعية الشيخ مبارك الميلي. ولقد نشر الشيخ في العديد من الجرائد والمجلات من بينها "الفاروق" و"الإقدام" و"البصائر"[3] في الجزائر، و"المنهاج" بالقاهرة (بن علي 1990، 16).

لقد تبنت صحفه "مبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مراحلها الإصلاحية والثقافية والسياسية" بجنب أخواتها لسان حال الجمعية. وكذا مبادئ وأهداف الأحزاب الوطنية والحركات الاستقلالية في جميع تطوراتها، كما كانت مجالا للأقلام الحرة الجريئة تتبارى فيه وتعالج مواضيع حساسة، كما كانت "رياض أدب وفن وعلم ومنابر حكمة ووعظ وإرشاد في أسلوب رصين مدبج بأقلام رفيعة" (النوري بلا تاريخ، 85).

كانت الجريدة الأسبوعية "وادي ميزاب" أولى جرائد العلامة، صدر منها 119 عدد ابتداء من افتتاحيتها بتاريخ 20 شعبان 1347هـ/ 01 من أكتوبر 1926م إلى غاية عددها الأخير في 20 شعبان 1347هـ/ 01 فيفري 1929م (Radouane, 1970).

[3] من جرائد جمعية العلماء التي كان ينشر بها "البصائر"، فمن المنشورات التي ساهم بها "موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري". ينظر: (أبي اليقظان، موجة الإصلاح الديني والعلمي بالقطر الجزائري 1354هـ/ 1935م، 5).

وكان الشيخ أبو اليقظان قد كتب فصلا في جريدة "وادي ميزاب" العدد 18 حرض فيه على العمل ونبذ الكسل، ونعى فيه على الكسلاء والمتواكلين الذين يعتذرون عن العمل بدعوى قرب نزول سيدنا عيسى عليه السلام وحلول الساعة... ما جعل الآباء البيض بغرداية يستغلون لفظة النزول ليتقمصوا الجريدة للتبشير بالمسيح، فوزعوا المقال على الناس لتعليق شروحهم عليه، وبث بنوّة عيسى وألوهيته من جهة، وفديته بدمه للخلق من جهة أخرى، وكونه واسطة لهم تقربهم إلى الله زلفى، مما دفع بالشيخ إلى كتابة فصل في العدد 76 بتاريخ 30 مارس 1928م في نفس الجريدة بعنوان: "يتقمصون في تبشيرهم بوادي ميزاب" متعجبا من هؤلاء ومزاعمهم ومتاجرتهم باسم "وادي ميزاب" ليسهل عليهم بث دعايتهم، مفتتحين الموضوع بالبسملة الشريفة، حتى إذا قرأه قارئ ظن أنه أحد المسلمين الناصحين. ولقد اتهم الشيخ المنصِّرين بالعمل على حساب الجريدة عوضا من الإتيان ببراهينهم وأدلتهم، والتعليق على الموضوع لا خارجه، محذرا كذلك من الأخطار المزدوجة لهاته الجماعات على الأمة والحكومة معا من خلال حفرها هوة عميقة بينهما، فحاول كشف حقائقهم حتى يكون الناس على بينة من أمرهم، سيما إذا علموا على حد قوله أنهم يعملون تحت رعاية الحكومة وحمايتها وبفضل قوتها ونفوذها، مؤكدا على تتبعه لجميع أعمالهم والتطلع على أسرارهم ودخائلهم مع التغاضي عن ذلك عليهم يقفون عند حدودهم، ليتهم الاحتلال بإرخاء العنان لهم بعد التزامها باحترام ديانة المسلمين. وفي الأخير وجه كلامه بالاحتجاج ضد وجود هذه الجماعات التنصيرية بالبلاد لاسيما في وادي مزاب مطالبا بإلغائها وحلها (ناصر 1424هـ/ 2003م، 110- 113).

وبطبيعة الحال عجلت تلك الردود بحل الجريدة، حيث يروي الشيخ أبي اليقظان سبب تعطيلها في جانفي 1929م بدخول المنصِّرين في غرداية، والمترجم العسكري المكلف بالترجمة في مكتب الحاكم العسكري بالمدينة ميدان طلب إغلاق الجريدة، التي كانت للشيخ مواقف معهم مدفوعين بأناس لم يسمهم، وذلك منذ تأسيسها في 1 أكتوبر 1926م، فقاموا بتشكيل "لجنة تركبت من بضع عشرة ذاتا من الرجال العسكريين والسياسيين ومديري المصالح فبيتوا فيها للوادي ما بيتوا، وكانت نتيجة ذلك صدور قرار من الوزارة الداخلية مؤرخ في 18 جانفي 1929م يأمر بتعطيل "وادي ميزاب" وتحجير بيعها وطبعها وتوزيعها وذلك لشدة لهجتها، كما أمر بتعطيل كل ما سيصدر مما يشبهها في شدة اللهجة، سواء باسم أبي اليقظان أو غيره سواء أطبع في تونس أو غيرها" (أبي اليقظان 2003، 40- 41). وأثناء إعلان الوالي خبر حجر الجريدة كان المنصِّرون[4] "وأذنابهم" أثناء خطاب الوالي

[4] يقول الصحفي أبو اليقظان في شأن المنصِّرين: "أما الأخوات والآباء البيض فإننا نعلم أنهم يقومون بخدمات جلية, ونحن نوجه إليهم الثناء الذي يستحقونه, ولكن أهالي البلاد وهم المعروفون بتشددهم في أمور الدين يجدون كرامتهم تداس

مبتسمين مبتهجين يهنئ بعضهم بعضا من خلال الإشارة بأيديهم، ولما انتهى تقدموا إلى بعضهم بالتهنئة (أبي اليقظان 2003، 44).

ولا بد من الإشارة أن جريدة "وادي ميزاب" تبنت قضية وحدة إسلامية تتحقق بواسطة مؤتمر إسلامي، وكانت لسان حال وآلام وآمال المزابيين، كما أن من أسباب منعها من الدخول إلى البلاد وإيقافها سنة 1929م كما سبق بيانه فضحها للإدارة في لهجة شديدة. هذا، وقامت "الشهاب" الجريدة الرائدة للمصلحين بالجزائر بتأبين زميلتها في عبارات مثيرة بعد صدور قرار منعها. وكانت "المنهاج" الجريدة الأسبوعية الإباضية الجديدة، التي كانت تنشرها الصحافة السلفية بالقاهرة منذ سنة 1926م، قد عبرت عن هذا الشعور تجاه توقيف جريدتين للمصلحين الجزائريين "المنتقد" و"الجزائر" منذ ثلاث سنوات خلت. ولقد ضمنت استمراريتها الجرائد المزابية "النور" ثم "الأمة" وكلاهما طبع بالجزائر العاصمة. تصدرت الأخيرة على الخصوص ووقّفت نفسها للدفاع عن القضية الوطنية في كل مكان، وحرضت العلماء الجزائريين على تربية الجيل الجديد بروح الجهاد والاستشهاد ضد الإمبريالية (شينار 1405هـ/ 1984م، 27- 28).

بعد توقيف السلطات الاستعمارية الفرنسية لجريدة "وادي ميزاب" أصدر الشيخ أبي اليقظان بعد مضي عام تقريبا جريدة أخرى جديدة شبيهة جدا بالقديمة إن لم نقل هي نفسها، لتشابه خطهما التحريري والإشهار الوارد فيهما، سماها "ميزاب" لم يصدر منها إلا عددا واحدا بتاريخ 23 شعبان 1348هـ/ 25 جانفي 1930م، ثم قامت السلطات الفرنسية مرة أخرى بمصادرتها. فأصدر رئيس التحرير بعد أربعة أشهر جريدة أسبوعية أخرى سماها "المغرب" صدر منها 38 عدد، اعتبارا من افتتاحيتها بتاريخ 01 محرم 1349هـ/ 26 ماي 1930م إلى غاية عددها الأخير بتاريخ 01 ذو القعدة 1349هـ/ 26 مارس 1931م (Radouane, 1970).

بعد توقيف الجريدة للمرة الثالثة أصدر أبو اليقظان بعد خمسة أشهر ونصف جريدة جديدة سماها "النور EN-NOUR"، اعتبارا من عددها الأول بتاريخ 02 جمادى الأولى 1350هـ/ 15 سبتمبر 1931م، صدر منها 78 عددا (Radouane, 1970).

عندما يرون هؤلاء يتدخلون في مسائل الدين أثناء علاقاتهم ومعاملاتهم في المدارس أو في المستشفى, وهذا مما لا يسوغ للإدارة أن تتسامح فيه (...) وبشيء من المراقبة من طرف المكتب الفرنسي في إدارة غرداية والحظر المطلق للأخوات والآباء البيض من التحدث للأهالي في أمور الدين يعود كل شيء إلى نصابه, ولا يمكن من الأهالي إلا الاعتراف بالجميل للسلطات المحلية إما أشخاصا أو بواسطة جريدتهم". (أبي اليقظان، تاريخ صحف أبي اليقظان 2003، 77- 78).

خلال الفترة الممتدة من 1926م إلى 1938م أسس أبو اليقظان ثماني جرائد[5]، صادرها الاستعمار الواحدة تلو الأخرى، لمواقفها الجريئة في تناول القضايا الوطنية والإسلامية. فعلاوة على الجرائد الأربع الأولى فقد أوقف كذلك جريدة "البستان" 10 أعداد، "النبراس" 06 أعداد، و"الأمة" 170 عددا، ثم "الفرقان" 06 أعداد[6] (بن علي 1990، 44).

بالمجمل، كانت صحافة الشيخ أبو اليقظان منذ نشأتها سنة 1926م، "وهي تسعى جاهدة نحو إصلاح المجتمع والنهوض بالأمة"، مركزة على جانبين مهمين هما:

1- مقاومة الاحتلال الفرنسي ببيان خطره وضرورة الإعتاق والتحرر منه، وصد محاولاته اليائسة لمسخ وتذويب وتنصير الشعب الجزائري.
2- النهوض بالأمة من خلال اتخاذ "أسباب القوة المادية والمعنوية، ونفض غبار الجهل والجمود والمحافظة على المقومات الدينية والوطنية".

بناء على ذلك، لم يكن الشيخ يفرق بين "قضية ذات اتجاه اقتصادي، وأخرى ذات اتجاه اجتماعي أو ديني" في صحفه، حيث كان ينظر إليها جميعا من الزاوية الوطنية، منطلقا من حقيقة واحدة هي "الصراع بين مستعمر صليبي دخيل وأمة عربية مسلمة" (حمدي بلا تاريخ، 133- 134).

وكان من المعجبين أيما إعجاب بصحافة أبي اليقظان في الجزائر؛ الشيخ بيوض الذي كان يستعمل كل وسيلة من الوسائل المتاحة لإصلاح المجتمع، والدفاع عن مقوماته الحضارية والتاريخية، ويؤمن بدور وفائدة الصحافة في حياة الأمم والشعوب من خلال تطلعه إلى الصحف الشرقية والتونسية، فكتب مقالات كثيرة في جرائد الشيخ تزيد عن ثلاثين مقالة ابتداء من سنة 1926 إلى 1938م، وأغلب تلك المقالات اجتماعية تدور حول إصلاح المجتمع وتربيته والبعض الآخر كان أدبيا. ولقد تميز أسلوبه في مقالاته "بالمتانة والسلاسة وغزارة المعاني" فتفهمه العامة، وتتأثر وتعجب به الخاصة. وكان أول مقال كتبه الشيخ ونشر في جريدة "وادي ميزاب" سنة 1926م حيا فيه وادي مزاب وطنا وجريدة مشيدا فيه بالنهضة العملاقة في جنوب الجزائر (قرقب 1997، 480- 481).

[5] ينظر ملحق رقم (2): الجرائد التي أصدرها الشيخ أبي اليقظان.

[6] لمطالعة فهرس جميع مواضيع الجرائد الثماني، ينظر: (م. ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة 1980، 301، 464).

3.1. مؤلفاته:

ترك الشيخ أبو اليقظان للمكتبة الإسلامية أكثر من 60 مؤلفا في مختلف المعارف والميادين، كما شارك في نضاله بشعره الذي شغل أزيد من 60 سنة من حياته، معالجا فيه قضايا عديدة بين "الإصلاح بمفهومه الشامل والطبيعة والاجتماع والسياسة والتاريخ". أما مشاركاته في مجال التاريخ فلعل أهمها مذكراته التي بدأها سنة 1919 واستمرت إلى سنة 1972م، لم يتوخى فيها رصد الأحداث فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التأريخ لمسيرة الحركة الإصلاحية بخاصة، حتى تكون نبراسا للأجيال اللاحقة. كما كانت مؤلفاته تعنى بشؤون العالم الإسلامي؛ فالوطن، وادي مزاب، القرارة، عشيرته، أسرته، سيرته الذاتية (بوحجام 1993، 39- 41).

كما ألف الشيخ "ملحق السير" وهو كتاب أكمل فيه ما بدأه الشماخي سنة 950هـ/ حوالي 1543م على طريقة القدامى في التأريخ؛ بذكر المترجم لهم، ووضعهم في طبقات. وقد انتهى إلى منتصف القرن 14هـ/ 19م. متوخيا في ذلك صحة مصادره فيما يتعلق بتراجم القدماء، ومراسلاته العديدة للعلماء المعاصرين الذين اعتمد عليهم في جمع المادة العلمية (بوحجام 1993، 41).

ناهيك عن ذلك، اشتهر الشيخ بمراسلاته العديدة للشخصيات العربية والإسلامية لمناقشة قضاياهم واستعراض حالهم، واقتراح الحلول المناسبة لما استجد. إلى جانب مشاركته "بوعظه وإرشاده وكتاباته الفقهية في توعية المسلمين بدينهم" (بوحجام 1993، 39).

2. مساهماته في الحركة الإصلاحية:

1.2. تأسيس جمعية العلماء وعضويته فيها:

عندما قررت جماعة من علماء الإصلاح في اجتماع مع عناصر متحررة من زاوية الصوفية إنشاء جمعية بالجزائر لنشر مبادئهم في ربيع سنة 1931م، ألح الشيخ عبد الحميد بن باديس أن يفتح هذه الجمعية الجديدة لعضوية كل المذاهب والتجمعات الإسلامية. وبعد انتخابه كرئيس لها أدرج في

المجلس الإداري[7] إلى جانب عناصر من القبائل، ومتخرجين من الزوايا والمدارس الرسمية أيضا ممثلين اثنين لإباضية الجزائر، ويتعلق الأمر بالشيخ بيوض والشاعر والصحفي أبي اليقظان (شينار 1405هـ/ 1984م، 8). حيث عين الأول عضوا في إدارتها الأولى، أما الثاني عضوا ونائبا لأمين المال في الإدارة الثانية. كما كان الشيخ بكلي عبد الرحمان عضوا في لجنة صياغة القانون الأساسي للجمعية. وكانت جلستها التأسيسية افتتحت بتجويد آيات بينات من الذكر الحكيم من طرف الشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي البرياني من منطقة مزاب، الذي كان من أعضائها (م. ناصر بلا تاريخ، 182).

بينما قوبلت عضوية ممثلي السنة بدون معارضة، "فإن أعضاء الصوفية اتخذوا موقفا استثنائيا تجاه زملائهم الإباضية". وبعد وقت قصير من معارضتهم أيضا للاتجاه "الوهابي" الجديد للإصلاح في ميدان التعليم، انسحبوا وأقاموا جمعية لأنفسهم في سبتمبر 1932م، أضافوا إلى تسميتها نعت "سني"، وهي "جمعية علماء السنة" يعنون بذلك بأن معارضهم قد ابتلوا بالبدعة، وأنهم وحدهم بحق يدعون تمثيل الأصالة الجزائرية الطاهرة. لقد ذهبت جريدة "البلاغ" إلى أبعد من ذلك فاتهمت جمعية بن باديس بكونها إباضية (شينار 1405هـ/ 1984م، 7- 8).

لقد تركزت الصداقة بين الإباضية والاتجاه الجديد للسنة عندما زار بن باديس مدينة غليزان وهو في جولته الدعائية صيف 1932، حيث استقبله الشيخ بيوض والأعضاء المزابيون لمجلس المدينة، وتجمعوا كلهم في المدرسة الإباضية للترحيب بالزائر (شينار 1405هـ/ 1984م، 9). فلقد اعتبرت مدرسة الإصلاح بغليزان في عمالة وهران، التي كان يشرف عليها آنذاك الشيخ بابا عمي الحاج احمد بن موسى أول مدرسة فتحت صدرها لاستقبال للشيخ، الذي كان يزورها كل عام عند مروره إلى تلمسان (م. ناصر بلا تاريخ، 182- 183). ولقد دعا الشيخ بيوض في خطابه الترحيبي كل الحاضرين لدفن نزاعاتهم، حينها مجد الشيخ بن باديس أخوة شعب الجزائر المؤسسة على أصلهم المشترك، ف "النجاح" التي غطت هذه الجولة أقرت بأن هذا الحدث ترك أثرا عميقا في البلاد (شينار 1405هـ/ 1984م، 9).

إذن، كانت علاقة الشيخ بن باديس وطيدة بالزعماء الإصلاحيين المزابيين تجسدت في جمعية العلماء بعد تأسيسها سنة 1931م، لعل من أهم هؤلاء الشيخ بيوض... فكيف كانت علاقة الأول بالشيخ أبي اليقظان؟ متى بدأت تلك العلاقة؟ وكيف كانت مساهمة الأخير في الجمعية؟

[7] ينظر ملحق رقم (3): عضوية أبي اليقظان في إدارة جمعية العلماء سنة 1934م.

2.2. علاقته بالشيخ بن باديس:

كانت العلاقة بين الشيخين أبي اليقظان وبن باديس وطيدة وفي وقت مبكر ترجع إلى سنة 1917م، عندما اجتمعا في حقل العلم والتعليم بتونس، وأصبحا يتبادلان الزيارات بينهما، فكان الشيخ بن باديس يزور البعثة المزابية في مقرها هناك برئاسة أبي اليقظان، وكان طلبتها يستقبلونه بـ "حفاوة بالغة، وحفلات فنية رائعة"، تقديرا لشخصيته ومكانته العلمية التي قدمها لأمته. كما كان الأخير يقوم بزيارات صديقه بن باديس في مدينة قسنطينة (فرصوص 1991، 88- 91).

ومن هذا المنطلق، كان أساس تلك العلاقة القيام بنهضة إصلاحية تنقذ الأمة من الجهل، أكدها الشيخ بن باديس بمقال نشره في مجلة الشهاب تحت عنوان "الشيخ أبو اليقظان"، العدد 115، الصفحة 16 الصادر يوم 29 سبتمبر 1927م، جاء فيه:

"... بحق، يعد [الشيخ أبو اليقظان] ركنا من أركان نهضتنا الفكرية الإصلاحية، وزعيم الناهضين من إخواننا الميزابيين (...)"

كما كان أبو اليقظان دائما يستشهد بأقوال بن باديس "الخالدة ومواقفه الحاسمة" (فرصوص 1991، 88، 89، 91).

وعندما تأسست جمعية العلماء كان عضوا بارزا فيها، وفي دورتها الثانية انتخب نائبا لأمين المال، غير أن متانة العلاقة بين الشيخين[8] لم ترق لبعض المغرضين، فسعوا بينهما بوشايات وتلفيق أكاذيب لضرب أهداف الجمعية التي تتمثل أساسا في وحدة الصف بين فئات المجتمع الجزائري، فاضطرت الجمعية إلى إعفاءه من منصبه باحترام يسع مكانته، وطلبت منه أن يعين شخصا مكانه. ولكنها تراجعت عما بدر منها لما تأكدت بضلوع "بعض اللئام لتحقيق أغراض ومصالح الاستعمار" وأرجعته لمنصبه (فرصوص 1991، 89- 90).

كان الشيخ أبي اليقظان يسعى إلى تمثيل الجمعية، التي كانت تبعث أعضائها إلى مختلف الجهات لنشر الوعي الديني، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة والبدع الباطلة التي كان يروجها الاحتلال. أما هو فعين مبعوثا إلى مدينة الجلفة وضواحيها لنشر العلم والدعوة إلى الإسلام النقي

[8] ينقل أحمد فرصوص أن الشيخ أبي اليقظان أملى عليه رؤية صالحة عن الشيخ بن باديس من بين رؤى عديدة كان يراها عن صديقه، وكانت في ليلة 30 نوفمبر 1964، مبديا فيها الأخير إعجابه بتوحيد كلمة المسلمين في الجزائر تحت راية الاستقلال على قاعدة "أنت أنت وأنا أنا وعلى منهاج القرآن والسنة وبلسان العربية المضرية". ناصحا أبا اليقظان إلى الصدع بالحق وعدم الاستسلام للدفاع عن الشيخ بيوض الذي أدخل السجن ظلما، معتبرا ذلك خطأ متعمدا وضلالا مضلا من المسؤولين، الذي حذر من تقارير بعضهم، وأن هدفهم فيها هو إفساد العلاقات بين الناس. ينظر: (فرصوص 1991، 91- 92).

الخالي من التحريف، فمكث هناك ثلاثة أسابيع ينتقل من منطقة إلى أخرى (فرصوص 1991، 91). فكيف كان تمثيله للجمعية مع زعماء الإصلاح الآخرين وسط أهلهم بمزاب؟

3.2. تمثيله جمعية العلماء في منطقة مزاب:

أبرز تقرير للأمن الفرنسي نشره الباحث صالح بن دريسو، نشاط جمعية العلماء في منطقة مزاب، وذلك في وثيقة سرية مؤرخة في شهر ديسمبر 1936م، مع التأكيد أن نشاط المزابيين ضمن هذه الحركة كان منذ تأسيسها في مطلع الثلاثينات بالمناطق الشمالية مثلما سبقت الإشارة إليه، التي تتميز بهامش حركة أكبر في ظل الحكم المدني.

وعليه، يبدو أن الحركة الإصلاحية لجمعية العلماء كانت تستهدف منطقة مزاب لتميز سكانها التجار بالانتشار خاصة في شمال الجزائر، وهو ما مكن عددا من التجار هناك من الانخراط في صفوف الجمعية، أين حصدوا حسب نفس التقرير عددا من الأعضاء، ففي 2 جويلية 1937م أصبحت المقبرة المزابية في مدينة الجزائر تستخدم كمكان لاجتماع أولئك التجار بإشراف الشيخ أبو اليقظان، وحجوط إبراهيم، وبوجناح سليمان، وعمر بن عيسى (بن دريسو، دت).

كما أنه من خصوصيات المنطقة خلوها من الطرق الصوفية المنحرفة "الخصم التقليدي للحركة الإصلاحية"، ساهم في تناميها "ليكون مزاب حليفها الثمين والفعال"، على أن الاختلاف المذهبي بين المالكية والإباضية لم تكن له أهمية تذكر، حيث كان التواصل بينهما مصدر قلق لإدارة الاحتلال (بن عمر 1427هـ/ 2006، 87).

ويبرز التقرير اسم الشيخ أبو اليقظان نائب أمين مال الجمعية، وصاحب جريدة "الأمة" في تلك السنة أي في 1936م، كالناطق الرسمي المعتمد لدى جمعية العلماء، باعتباره المسؤول عن عملية توزيع المناشير في مزاب "تحت البرانيس للدعوة إلى الفكر الوهابي بحذر ومهارة". كما اعتبر التقرير الشيخ بيوض "هو المحرك القديم لكل المشاريع التحريضية"، وأنهما من ينشط "الدعاية للفكر والعقيدة الوهابية" (بن دريسو، دت).

إن وصف التقرير لفكر جمعية العلماء بأنه فكر "وهابي" كان الهدف منه الحملة الدعائية التي استهدفت فكرهم التحرري، ليس فقط في مزاب بل في مناطق أخرى من الجزائر من بعض الطرقيين والباشاغات الموالين لها... الذين عارضوا الجمعية وسلموا ممثليها لسلطات الإحتلال (بن دريسو، دت).

ويضيف التقرير أن الشيخ أبو اليقظان والشيخ بيوض وبغباغة احمد وبابكر صالح، "تحت الرعاية السامية لخبزي عيسى" صاحب الثروة ببسكرة وبحماية منه، وبواسطة جمعيتي الحياة

بالقرارة والإصلاح بغرداية، لا يضيعون فرصة تتاح لهم ليزعزعوا المجتمع المزابي ويقوّضوا سلطة الحكم الفرنسي (بن دريسو، دت).

على الرغم من أن التنقل بين بلديات الملحقة العسكرية الواحدة لم يستدع امتلاك رخصة في زمن عصيب تمر به فرنسا وخاصة سنة 1940م، سعت الأخيرة على التشديد على العناصر المطلوبة خاصة إن كان التنقل لغرض اجتماع شخصيتين تحملان أفكارا ومشاريع إصلاحية، وتحضيان بنفوذ شعبي واسع مثل الشيخ بيوض والشيخ بن يوسف سليمان بن الحاج داود، فعلى اثر سفر هذا الأخير إلى القرارة أرسلت السلطات الفرنسية قوة في أثرهما وألقت القبض عليهما، فلما حضرا أمام حاكم الملحقة العسكرية بغرداية بحضور قواد مزاب، ألقى باللائمة عليهم لتقصيرهم في "واجب السهر على أمن الدولة الفرنسية"، وأصدر أمرا بوضع الشيخ بيوض تحت الإقامة الجبرية لمدة ثلاث سنوات بالقرارة، ونفي الشيخ بن يوسف إلى قسنطينة لقضاء نفس المدة (بن عمر 1427هـ/ 2006، 88).

ختاما، كان للشيخ أبي اليقظان مساهمات في ميادين أخرى، حيث يذكر الثوري الشيخ حمو النوري أنه اجتمع ببعض رؤساء الثورة والمسؤولين بالعاصمة بعد إعلان الكفاح المسلح، وأغلب الظن أنهم أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ C.C.E أو أعضاء المجلس الحربي الأعلى في دكان المجاهد اسماوي الحاج إسماعيل بن محمد، وكان من أهم مراكز اللجنة في العاصمة أين كان الشيخ يتردد إليه، وكان من الذين اجتمع بهم الشيخ الحواس (النوري بلا تاريخ، 88- 89).

كما يذكر الدكتور سليمان ناصر أستاذ الاقتصاد بجامعة ورقلة أن الشيخ أبي اليقظان "أول من فكر في إنشاء بنك إسلامي في العالم"، فقد سبقت هذه التجربة حسبه جميع التجارب السابقة المعروفة في العالم الإسلامي، وكان ذلك في وقت مبكر من سنة 1929م، حيث تقرر تسمية البنك باسم "البنك الإسلامي الجزائري"[9]، جمع الشيخ رأسماله من كبار التجار في الجزائر العاصمة، ولقد تم تقديم ملف كامل حول المشروع، ولكن الاحتلال أجهضه، لأنه كان يرى فيه منافسا قويا

[9] لمزيد من المعلومات حول الموضوع يرجى مطالعة مقال:
جريدة وادي ميزاب: "**حاجة الجزائر إلى مصرف أهلي**"، بدون إمضاء، العدد 89، 29/ 06/ 1928، ص 2. (Radouane, 1970).

لبنوكه الربوية[10]. ويضيف الدكتور ناصر أن كلية الاقتصاد بجامعة غليزان أصدرت مجلة علمية محكمة باسم "مجلة أبو اليقظان للصيرفة الإسلامية"، وفاء للشيخ واعترافا بأسبقيته في هذا المجال.

خاتمة:

احتوت جمعية العلماء المسلمين على شخصيات إصلاحية فذة من الرعيل الأول مثل الشيخ بن باديس والبشير الإبراهيمي والعربي التبسي ومبارك الميلي وغيرهم... كما احتوى مجلس إدارتها على شخصيات بارزة من وادي مزاب مثلت الحركة الإصلاحية بها وكانت لها مساهمات بها منذ تأسيسها، وفي وضع قانونها الأساسي والتعريف بها؛ ونخص بالذكر الشيخ بيوض والشيخ أبي اليقظان والشيخ النوري والشيخ بكلي...، كما احتوت على شخصيات أخرى تحتاج إلى مزيد من البحث كالشيخ محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي البرياني الذي يعتبر من بين الكتاب الأوائل المزابيين في صحافة جمعية العلماء، أين بزغ فجر الحركة الإصلاحية في الجزائر بشكل عام.

لقد كانت الجهود الإصلاحية للشيخ أبي اليقظان بارزة، من خلال عضويته في إدارة جمعية العلماء المسلمين، مركزا على تعليم النشأ سواء بداخل أو خارج البلاد بتونس، وترك بصماته فيه. وكانت له مساهمات أخرى كالثورة التحريرية، بل حتى في إنشاء أول بنك إسلامي في الجزائر والوطن الإسلامي، مما يدل على أهمية الحركة الإصلاحية التي تبنتها جمعية العلماء وجمعيات أخرى بالجنوب مثل جمعية الحياة بالقرارة... بالدفع بالبلاد إلى خوض الكفاح المسلح، ألم يكن طلاب تلك المدارس جنودا لجيش التحرير الوطني؟

وإذ لا يسعنا الحديث عن مسار حياة الشيخ الغنية بالأحداث والمواقف إنما كان تركيزنا على مساهمته في الحركة الإصلاحية بشكل عام من خلال العمل الصحفي خاصة، حيث كانت جرائده الأولى تطبع في تونس وتوزع في الجزائر، وكلما أغلق المحتل جريدة أصدر أخرى في تحد وإرادة عجيبين. كما كانت عضويته في جمعية العلماء خير سفير لمنطقة مزاب ومذهبها الإباضي، أين أدرجه الاستعمار مع زعماء آخرين في قائمته السوداء. كما كان ترأسه للبعثات العلمية المزابية إلى تونس، ومساهمته في

[10] صفحة الدكتور سليمان الناصر على الفايسبوك. نقلا عن: (بلعباس 1434هـ/ 2013م).

إنشاء مدرسة خاصة به بمسقط رأسه بالقرارة وفي مدن أخرى، أثرها في صقل طلابه على حب الوطن والذود عنه، والتحرر من الاحتلال من خلال تمسكهم بالهوية الوطنية واللغة العربية.

ملحق رقم (1): صورة للشيخ أبي اليقظان ابراهيم بن الحاج عيسى

المصدر: (ناصر م.، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، 1980، 33).

ملحق رقم (2): الجرائد التي أصدرها الشيخ أبي اليقظان

اسم الجريدة	بروزها	تعطيلها	أعدادها
وادي ميزاب	01 أكتوبر 1926	18 جانفي 1929	119
ميزاب	25 جانفي 1930	/	01
المغرب	26 ماي 1930	09 مارس 1931	38
النور	15 سبتمبر 1931	02 ماي 1933	78
البستان	27 أفريل 1933	13 جويلية 1933	10
النبراس	21 جويلية 1933	22 أوت 1933	06
الأمة	08 سبتمبر 1933	06 جوان 1938	170
الفرقان	08 جويلية 1938	03 أوت 1938	06

المصدر: (فرصوص، 1991، 119).

ملحق رقم (3): عضوية أبي اليقظان في إدارة جمعية العلماء سنة 1934م

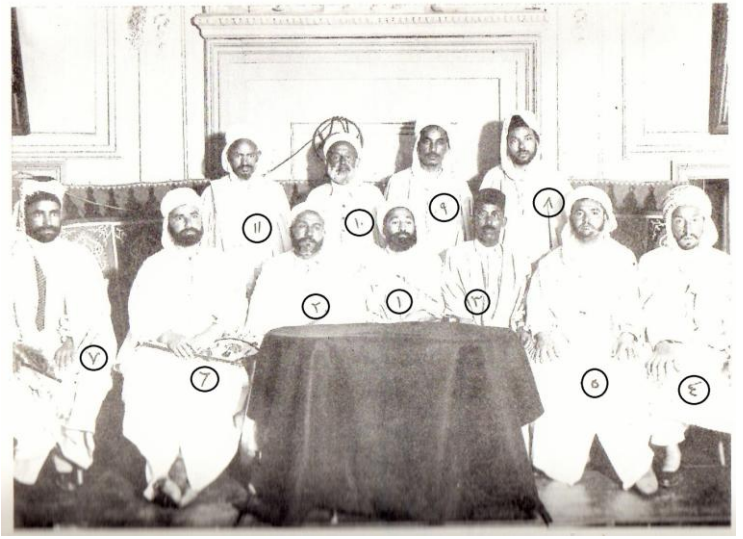

إدارة جمعية العلماء المنتخبة يوم الثلاثاء 05- 04- 1353م/ 17- 07- 1934م على رأسها مشائخ الإصلاح الأجلاء وهم:

1- عبد الحميد بن باديس. 2- البشير الإبراهيمي. 3- الأمين العمودي. 4- عبد القادر بن زيان. 5- العربي التبسي. 6- مبارك الميلي. 7- الطيب العقبي. 8- السعيد الزاهري. 9- محمد خير الدين. 10- يحي حمودي. 11- إبراهيم أبو اليقظان.

المصدر: (دبوز 1394هـ- 1974م، 32).

- **قائمة المراجع:**

1. باللغة العربية:

1- إبراهيم أبي اليقظان. (2003). *تاريخ صحف أبي اليقظان*. (محمد صالح ناصر، المحرر) الجزائر: دار هومة.

2- أحمد محمد فرصوص. (1991). *الشيخ أبو اليقظان كما عرفته*. قسنطينة، الجزائر: دار البعث.

3- الحاج موسى بن عمر. (رمضان- أكتوبر, 1427هـ/ 2006). الحركة الإصلاحية في مزاب تحت مجهر الإدارة الفرنسية. (نشر جمعية التراث، المحرر) *مجلة الحياة، 10*.

4- بساح شينار. (1405هـ/ 1984م). *الإباضية والحركة الإصلاحية بالجزائر المعاصرة*. (أولاد بهون بكير، المترجمون).

5- بلقاسم بن علي. (3 ديسمبر, 1990). الشيخ أبو اليقظان رائد الصحافة الوطنية. *جريدة أخبار الواحة، 1*، 16.

6- حمو عيسى النوري. (بلا تاريخ). *دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا* (الإصدار 1، المجلد 1). قسنطينة- الجزائر: مطبعة البعث.

7- صالح بن دريسو. (بلا تاريخ). *النهضة الإصلاحية في الجنوب الجزائري من خلال وثيقة سرية فرنسية قراءة وصفية تحليلية للوثيقة وللسياق التاريخي لظهورها*.

8- عيسى قرقب. (ماي, 1997). دور الإمام بيوض في النهضة الوطنية الجزائرية ومقارنته بالعلامة بن باديس. *المجلة التاريخية المغاربية، 87- 88*.

9- محمد بن صالح حمدي. (بلا تاريخ). قراءة اقتصادية في صحف الشيخ أبي اليقظان. *مجلة الحياة، 5*.

10- محمد صالح ناصر. (1424هـ/ 2003م). مختارات من صحف أبي اليقظان. *1* ، الصفحات 110-113.

11- محمد علي دبوز. (1394هـ- 1974م). *أعلام الإصلاح في الجزائر من عام 1340هـ 1921م إلى عام 1395هـ 1975م* (الإصدار 1، المجلد 1). قسنطينة- الجزائر: مطبعة البعث.

12- محمد ناصر. (1980). أبو اليقظان وجهاد الكلمة. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

13- محمد ناصر. (بلا تاريخ). الشيخ القرادي حياته وآثاره (المجلد الحلقة الأولى). العطف، غرداية: نشر جمعية النهضة.

14- محمد ناصر بوحجام. (1993). أنغام الحياة تحيي ذكرى أبي اليقظان. مجلة النهضة.

2. باللغة الأجنبية:

Radouane, D. (1970, avril 27). L'unité mobile de microfilm de l'Unisco: Microfilmage. Alger.